اتجاهات الأدب المقارن، نشأته و حداثته

دکتر مهدی ممتحن

عضو هیئت علمی دانشگاه آزاد اسلامی ـ واحد جیرفت

موجز المقال

من المعقول بأن نشاهد أنّ الأدب المقارن فی العالم هُو التفاعل مع الفکر النقدی، و مجانباً الی اتجاهاتٍ خاصة. فقد استمد منه الأسس النظریه والتوجهات التطبیقیه. و کان هذا التفاعل مصدراً هاماً لما شهده الأدب المقارن مِن تطّورٍ و تجدید فی صورةِ ظهور مدارس جدیدة مقارنیه؛ والتی عرفت بالمدارس الفرنسیه والأمریکیه والأنکلیزیه. فکانت المدرسة الأمریکیه ثمرةً من ثمار هذا الترابط بین الأدبین المقارن والأدب النقدی الحدیث. کما أدی ظهور نظریه التلقی الأدبی الی نشوء دراسات التلقی الأبداعی والنقدی فی الأدب المقارن. و نحن نری فی الأدب نظریة التناص والتفاعل قد أحدثت اصداءً کبیرةً فی الدراسات المقارنه. ولکن الأدب المقارن لم یتفاعل مع المذاهب النقدیه بسرعةٍ فائقه. فلذلک وجب علینا ان نبحث حول هذه المدارس و فکرة التأثیر والتأثر، و مراجعة خاصة فی الأسس النظریه حول نشاة الأدب المقارن فی العصر الحدیث، و نتعهد إلی المساهمة فی هذا الأمر.

الکلمات الأساسیة: الأدب المقارن، التأثیر والتأثر، النقد الأدبی.

الأدب‌المقارن، تعریفه و مفاهیمه

اذا اردناالتعرف علی‌الأدب‌المقارن و مفاهیمه و ارتباطه بالنقدالأدبی، وجب علینا أن نلتزم بتعریف شامل لهذاالأدب من جمیع‌الجهات، ثم‌البحث حوله فی جوانب شتی. فلذلک أمکنناالقول عن تعریف‌الأدب‌المقارن: بأنه نوع من‌الدراسات‌الأدبیه خلف حدود بلد معین، والذی یبحث عن دراسةالعلاقات بین‌الأدب من جهة، والمعرفة والاعتقاد من جهة اخری، کمفاهیم‌الفنون من‌الرسم والنحت والعمارة والموسیقی والفلسفه والتاریخ والعلوم‌الأجتماعیه والسیاسیه، و باختصار نعرفه بأنه مقارنة ادب معین مع ادب آخر فی منطقه من‌العالم مع مناطق اخری علی اساس‌التعبیرالانسانی. (الخطیب، ۱۹۹۹م.: ۵۰)

و هناک تعبیر آخر لتعریفه: بانه‌العلم الذی یؤرخ للعلاقات‌الخارجیه بین‌الآداب، و یبحث عن دراسات‌التأثیر والتأثر بین تاریخ ادب قومی من تطورات خاصة و بین‌الآداب‌القومیةالآخری من تبادل و تفاعل. (هلال، ۱۹۸۷م.: ۱۸)

اماالتعبیر الأخیر هو مایصرح علی‌الدراسات‌الادبیه الذی یتمثل جوهره فی اجراء مقارنات بین آداب قومیه متنوعة والتی کتبت بلغات متعدده. (ندا، ۱۹۹۲م.: ۲۰)

متی و کیف استخدم‌الأدب‌المقارن

کلما ازدادت اهمیةالأدب‌المقارن فی‌العصرالحدیث، ازداد تشعب‌الآراء حول تحدید مفهومه. و کما نعلم بأن‌الأدب‌المقارن منذ نشاته فی‌القرن‌التاسع‌عشر، اهتم بمعالجة حقول مختلفه. فکل من علماءاللغة اخذ یسمیه باسم خاص. فمثلاً (بول قان تییغم) هو اول من اعترف بأن تسمیة هذاالأدب غیرواضح‌الدلالة، و یمکن ان تکون تعابیر اصح و اجمل لهذاالأدب. فمن‌الأسماءالمقترحة فی نظره، هی «الآداب‌الحدیثه‌المقارنه». و هو اسم رسمی لعدد من منابرالجامعات. و من جهة اخری قد اهتم‌الاخرون بتسمیة غیره و هو «تاریخ‌الأدب‌المقارن» الذی استعمله «جوزیف تکست» و «ج. ج. امبیر»، و یعود هذاالاسم الی سنة ۱۸۳۲م. (تییغم، ۱۹۳۱م.: ۱۸)

والاسم‌الاخیر الذی اقترح عوضاً عن‌الأدب‌المقارن هو «التاریخ‌الادبی‌المقارن،

والتاريخ المقارن للآداب او تاريخ الآداب المقارن او تاريخ المقارنه» (هلال، ۱۹۸۷م.: ۱۰). و هناک اسامی اخری و هی «تاريخ العلاقات الأدبية الدولية» الذی اقترحه «ماريوس فرانسوا غويار».

لكننا نرى بأن راى «بول تييغم» كان هوالاكثر تشدداً فی المفهوم الفرنسی للأدب المقارن، لانه قد استعمل الأدب المقارن فی فرنسا كاصطلاح متعارف منذ قرن تقريباً. فمنذ عام ۱۸۲۷م استعمله «فيلمان» فی احدی محاضراته فی الجامعة الصربون. و منذ عام ۱۸۳۰م وضعت هذه التسميه فی عدة كتب. و قد استعمل ايضاً فی الحقبة الأخيرة اكثر و اكثر، حتی اصبح فی ايامنا هذه واضحٌ جداً، لأنه سهل فيه الاستعمال إلی حدّ ما بأن لم يكن هناک من داعٍ لاستبدال اسمٍ آخر به. (تييغم، ۱۹۳۱م.:۱۹)

و قد بحث بعض الدراسين قضية هذا المصطلح باللغة العربية، بأن اخذوا يتساءلون هل هو «مقارِن» بالكسر ام «مُقارَن» بالفتح. فی حين أن المصطلح الفرنسی قد استعمل بصورة اسم المفعول "La literature compareé". فأذن هو مقارن. اما الترجمة الانكليزيه كانت بصورة مقارنی و بصورة صفة "comparative".

و قد استوهم بعضهم ان اتخذوها اسم فاعل. (السيد العراقی، ۱۹۸۵م.: ۲۳)

و كما تشير المعاجم الی انه اسم مفعول و بكلمة «مُقارَن» والفرنسيين استخدموا هذه اللغة بمفهوم "comparative" ثم عدلوا عنه الی "compareé". (ولک، ۱۹۸۷م.: ۳۳۱)

والاصح الشائع هو استعمال صيغة اسم المفعول بصورة «مُقارَن». ولكن العامل فی حقل الأدب المقارن هو باحث «مُقارِن» بالكسر مقابل كلمة "comparatiste" الفرنسيه التی استعملها الانكليز بصورة "comparatiste" و منها اشتقت التسمية النوعيه لعمليه المقارنه "comparativisme" و يقابلها بالعربيه مصطلح المقارنه.

نشأة الأدب المقارن

ان نشأة الأدب المقارن يرجع فی الاصل الی القرن التاسع عشر حوالی سنة «۱۸۲۷م.»

حینما بدأالادیب الفرنسی أبل فیلمان[1] یلقی محاضراته فی الأدب المقارن حول الأدب الفرنسی والانکلیزی، و یرجع الفضل الاکبر الیه بان وضع الاسس الاولیٰ لمنطق هذاالنوع من الدراسة الادبیة. و یحتمل ان قد ظهرت قبله لعدة محاولات و هی:

الف- الاتساع الادبی لدی الباحثین، لازدیاد الصلات الثقافیه بین الشعوب الاوروبیه، و بدء کل شعب بتعرف ادب الشعب الآخر عن طریق الترجمه. فمثلاً بدأت فرنسا تحِسّ بتأثیر الادب الألمانی والانکلیزی کتأثیر الادب الیونانی والرومانی من قبل.

ب- ظهور اتجاهات قویه و عالمیه تتجاوز حدود الامم والنزعات الخاصة. و من اثر ذلک ظهر ابداع ادبی خاص. فکما کان فولتیر و روسو و دیدرو و غوته من اوائل المبشرین بالروح العالمیه فی مجال الثقافه والأدب، فالدراسات الأدبیه المقارنه اعتبرت افضل شکل لهذاالاتجاه.

ج- ظهور حرکة الرومنتی: أی الابداعی فی الأدب آنذاک، أدیٰ الی انتشار اتجاه علی مدی القارة الأوروبیه. فمثلاً «شلی و بایرون و مدام دوستال» تبرموا بالحدود القومیة والسیاسیة، مما ادی ذلک الی خلق تربة مناسبة للدراسات الأدبیة المقارنه. فمن ذلک کله کان الارتباط والتلاطم عاملاً الی انتشار المقارنات العلمیه بین الامم و محاولة العلماء، مما وصل الیه التطور العلمی خارج حدود بلدانهم، و ظهر من ذلک فروع جدیدة، کعلم الحیاة المقارن و علم التشریع المقارن، و علم اللغة المقارن، و علم المیثولوجیه المقارن، و بالنهایة مما ادی الی ظهور علم ادبی مقارن. و کان فی مقدمة هؤلاء «ادجار کینیه»[2] الفرنسی والذی اقترح علی ایجاد ادب خاص کان یسمی بـ «الادب المقارن». (الخطیب، ۱۹۹۹م.: ۹۲)

من جهة اخری نریٰ بأن تأثیر المکتشفات العلمیه فی حقل علم الاجتماع و علم النفس والتاریخ و غیرها اکدّ بأن الانسان حصیلة عوامل مختلفة، و انه محکوم بهذه العوامل؛ مما دفع الباحثین الادباء الی الانتاج الادبی، و ربطه بعوامل البیئه والتاریخ الثقافی. و قد بالغ باحثوالقرن التاسع عشر فی هذه الناحیة، و اکثروا من الکلام حول الحتمیه والجبریه. و فی

1. Able Villemain
2. Edgar Quinet

مقدمة هـؤلاء: «ارنست ريـنان» و «سـانت بـوف» و «هـيبوليت تـين». و كـان نـتيجه ذلك‌الاتجاه الى تدوين علم يحاول‌البحث فى اصول افكـار و عـوامـل‌التكـون‌الثـقافى لدى‌الامم. و حينئذ اخذالباحث‌النيوزلندى «بوسِنت» الذى حمل اسم‌الأدب‌المقارن[1] عام «۱۸۸۱م.» يوضح هذاالاتجاه‌العام.

الغرب و اهميته فى نشأة الأدب‌المقارن

فرنسا: تعتبر فرنسا المهدالاول للأدب‌المقارن، لعوامل ظهرت فيها: اما لغويه او اجتماعيه او ثـقافيه. و مـنها ان فـرنسا اهـتمت مـن‌البـدايـه بـلغات اوروبـا‌لجنوبيه، و كـانت مـن اهم‌اللغات‌الرومانسيه. و يقال بان‌الفرنسيين كانوا اول من تنبه الى قيمة‌التراث‌المشترك بينهم و بين‌المناطق‌الاوروبيه‌الاخرى. و قد تبلور فيها اتجاه ادبى فكرى من شعراءالثريا (الخـطيب، ۱۹۷۵م.: ۱۰۱). و هـذا مـما أدىٰ الىٰ بـناءالركـن‌الاول للأدب‌المـقارن. و من‌المؤرخين من يرجع نشأةالاهتمام بالأدب‌المقارن فى فرنسا الى‌القرن‌التاسع‌الميلادى او الثانى‌عشر او السابع‌عشر، ولكن‌الحقيقه هى ان نقول ان‌البذرةالاولى لهذه‌النشأة كانت فى كتاب عن آلمانيا لمدام دوستال[2] الذى نشرته عام ۱۸۱۰م. و قد ترك تأثـيراً عـميقاً فى‌الرأى‌الفرنسى. و هى تقول فى هذاالكتاب لابد للامم ان تتواصل فيما بينها، و تهدى احداها غـيرها. و مـن‌الخـير للامـة ان تـرحّب بـالافكار التـى تـرد اليـها مـن‌الخـارج. فان‌الامة‌المضياف فى هذاالخصوص هى التى تغنم اكبرالغنم. (الخطيب، ۱۹۹۹م.: ۹۵)

و من ثم تولى جوزيف تكست[3] منبرليون، و كتب دراسات عميقه فى‌الأدب‌المـقارن تحت عنوان «دراسات فى‌الأدب‌الاوروبـى» سـنة ۱۸۹۸م.، و كـان لهـاالاثـرالقـوى فـى نشأةالأدب‌المقارن. و اكتمل معنى‌الأدب‌المقارن على يد هذاالبـحاثه، و تـمتاز دراسـته بالافق‌الواسع والنظرةالشاملة فى بيان تطورالافكار و اختلافها على حسب تطورالشعوب و اختلاف احوالهاالاجتماعية. (هلال، ۱۹۵۲م.: ۷۵)

---

1. Comparative Literature
2. Destaal
3. Texte

و فی‌الوقت نفسه ظهرت اول فهرسته لمصادرالأدب‌المقارن علی ید (بتز) الفرنسی سنة ۱۹۰۰م. و قد اختار هذاالادیب‌الاستاذ «تکست» لیکتب مقدمة هذه‌الفهرسة حول مسائل و مشاکل هامة اوالفلکور اوالتراث‌الشعبی‌المقارن اوالدراسة‌المقارنه للآداب‌الحدیثه.

بریطانیا: ان‌الحماسة التی اظهرتها فرنسا للأدب‌المقارن، لم‌تجدالصدی‌الکافی لدی‌الدول‌الاوروبیه‌الاخری. ففی بریطانیا ظلت‌الابحاث‌المقارنیه محدوده جداً، حتی مابعدالحرب‌العالمیه‌الثانیه. و بعد نصف قرنٍ من هذه‌الصیحة نقلت مقالة ادبیة من قبل مؤلف انکلیزی معاصر و هو الاستاذ «ر. أ. سیس»[1] فی‌الملحق‌التربوی لجریدة‌التایمز فی عددهاالصادر ۱۹۶۵/۳/۲۶م. و اصبح یلاقی مقاومة قویة من قبل‌الجامعات‌البریطانیه، ولکنه برع بین سنتی [۱۹۴۲ـ۱۹۴۶م] و اهتم به ادباء جامعات بریطانیا، و سمیت‌الدراسات‌الملقیه من قبله بـ«دراسات‌الأدب‌المقارن»[2].

و فی‌الفترة‌الثانیه‌ای بین سنة [۱۹۴۸ـ۱۹۵۱م.] قام طلبة جامعة ابردین[3] فی اسکتلنده بانشاء جمعیه للأدب‌المقارن. و من ثم اعقبتها جامعة اسکس[4] والجامعات‌الاخری بانکلنزا کی یتخذلها استاذاً للأدب‌المقارن. ولکن لم‌تجد احداً. و فی نهایه خریف (۱۹۶۴م.) قررت جامعة اکسفورد تقدیم مقرر رسمی فی‌الأدب‌العام والمقارن، و منحت اول دکتوراه فی‌الأدب‌المقارن سنة ۱۹۶۸م. والذی اعتبر بمنزلة اعتراف رسمی بنشر هذاالأدب. و مع ذلک مازال‌الاهتمام بهذاالأدب اقل منه بدرجات من‌الولایات‌المتحدة‌الامریکیه التی استخدمت معظم‌الکفایات فی هذه‌المجال. و فی ذلک‌الوقت ظهر کتاب ذوصفحات قلیله فی بریطانیا للاستاذ «هنری غیفورد»[5] استاذالأدب‌الانکلیزی، مدرساً فی جامعة بریستول، و کانت صفحاته حوالی (۹۱ ص) فیه توضیح قلیل من‌المبادیء للأدب‌المقارن (غیفورد، ۱۹۶۹م.). ولکن عدوی‌الاهتمام بالأدب‌المقارن و نظریته وصلت اخیراً الی بریطانیا، و ظهر کتاب (براقر) سنة ۱۹۷۳. تحت

---

1. R. A. Sayce
2. Comparative Literature Studies
3. Aberdeen
4. Essex
5. Henry Gifford

عنوان الدراسات الادبية المقارنه، و فيه بوادر من العناية النظريه لمفهوم الأدب المقارن عن مطبعة كامبريج. (براقر، ۱۹۷۳م.)

ثم اصدر المجلد الاول منه عام ۱۹۸۰م. من اعداد الاستاذ شافر تحت اسم النقد المقارن[1] (۱۹۶۸م.).

نيوزلنده: و فی خلال سنة ۱۸۸۶م. ظهر فی نيوزلنده كتاب حول الأدب المقارن، والذی الفه «هشتصين ماكولی بوسنت»[2] و يعتبر اول محاوله لمفهوم الأدب المقارن. و فيه بحث خاص، على ان الأدب المقارن فرع من فروع علم الاجتماع. و لقد اكد «قان تييغم» عام ۱۹۳۰م. بان هذا الكتاب هو اول كتاب موقوف على نظرية الأدب المقارن و انه لايزال متداولاً بين الادباء.

آلمانيا: كان الأدب المقارن يعتبر دائماً فی آلمانيا فرعاً من تاريخ الأدب. فكان الاستاذ «كاسبر مورهوف»[3] اول من توجه الى اهمية الأدب المقارن فی الدراسات الجامعيه. ولكن علماء الأدب الآلمانی لم يتفرعوا لدراسة هذا الادب، الا بعد ان اشبعوا ادبهم الآلمانی دراسة و بحثاً. و فی سنة ۱۸۸۰م. اخذ الاستاذ شميدت[4] يلقی محاضرات فی جامعة قينا، و من سياق محاضراته، انه كان يعتقد بان تاريخ الأدب بحب ان يكون جزءاً من تاريخ التطور الثقافی والروحی للامم التی تقارن بين آدابها، و بعد شميدت جاء «موريز كاريير»[5] و نشر عدة كتب حول الأدب المقارن، ولكن لم يدخل هذا الادب فی نطاق الدراسات الجامعيه فی آلمانيا الا بعد سنة ۱۸۸۷م.

و لقد نشر الاستاذ «ماكس كوخ»[6] اول عدد من مجلته باسم الأدب المقارن، والذی تحتوی على بحوث متفاوته، منها كان استعراض سريع للنقد الأدبی المقارن فی آلمانيا، والبحث الاخر حول الترجمه والموضوعات الادبيه والعلاقات بين تاريخ الأدب والتاريخ السياسی و علم الفولكور الذی اصبح موضع احترام. و بدأ البحث حول

---

1. *Comparative Criticism*
2. Hutcheson Macaulay Posnett
3. Kasper Paniel Morhof
4. Schmidt
5. Moriz Carriere
6. Max Koch

دراسةالخرافات والاساطیر والامثال‌الشعبیه فی بلدان متنوعة من‌الهند والصین و افریقیه. و قدنوه بالتأثیرات‌المتبادله بین‌الآداب. فقد تناول تأثیر دانتی‌الایطالی علی‌الأدب‌الآلمانی و تأثیر لسنج[1] الآلمانی علی روبرت بیرنز[2] کبیر شعراء اسکتلنده. (الخطیب، ۱۹۹۹م.: ۱۰۰)

ایـــطالیا: امـــا فـــی ایـــطالیا لم‌یکـــن للأدب‌المـــقارن حـــظّ وافـــر، و ذلک لتطرف‌النزعة‌الایـطالیه‌القـومیة هـنـاک، و اغـلاق‌النـوافـذ عـلی‌الأدب‌الاجـنبی، ولکـن بعدالوحدة‌الایطالیة، بدأ‌الایطالیون یوجهون انظارهم الی اوروبا والعالم. و یعودالفضل الی وزیرالمعارف فـرانسـیسکو دوسـانکتیس[3] الذی اهـتم عـام ۱۸۶۱م. الی انشـاء کـرسی للتاریخ‌الادبی‌المقارن فی جامعة نابولی، و کان اول من شغل هذاالکرسی جرج هروج[4] و خلفه دوسانکتیس.

الولایات‌المتحدة‌الامریکیه: اماالبـحث عـن‌الأدب‌المـقارن فـی‌الولایـات‌المـتحدة، یمکن‌القول حوله بان امریکا لم‌تلتفت الیه الا فی‌الثلث‌الاخیر من‌القرن‌التاسع‌عشر، و یبدو من ذلک ان اول من ادخل مادة‌الأدب‌المـقارن فـی‌الجـامعات‌الامـریکیه هـو «تشـارلز تشونسی شاکفورد»[5] والذی شغل کـرسی‌الأدب فـی جـامعة کـورنیل. و مـن ثـم شـغل هذاالکرسی‌الاستاذ تشارلز جیلی[6] فی جامعة مشیغن[7]. و اول من بدأ بتدریس هذاالأدب فی جامعة هارفرد، هوالاستاذ آرثر رتشموند مارش[8] والذی قـام بـتقدیم اربـعة مـقررات دراسیة.

و یمکن‌القول: بان دراسة‌الأدب‌المقارن فی امریکا فی‌العشرینات من هذاالقرن کانت مختلطه فی‌الاذهان بدراسة‌الأدب‌العام، اوالانسانیات.

ولکن بعد مضی سنین، انفردو استقل‌الأدب‌المقارن بموضوعاته. و فی سنة ۱۹۴۹م. ظهر اول عدد من مجلة الادب‌المقارن[9]، والتی کانت تصدرها جامعة اوریغون[10]. بالتعاون

---

1. Lessing
2. Robert Burns
3. Desanctis
4. Herweg
5. Charles Chauncy Shackford
6. Charles-Geyley
7. Michigan
8. Artur Richmond Marsh
9. ***Comparative Literature***
10. Oregon

مع قسم‌الأدب الأدب‌المقارن، و اصبح دراسة هذاالأدب عاماً فی اکثر جامعات امریکا، کجامعة شمال کارولینا و جامعة اندیانا[1].

و قد الفت کتب کثیره حول هذاالأدب، و من تلک‌الکتب کتاب هام للاستاذ فردریک فی‌الأدب‌المقارن و نشرت کتب و مجلات متنوعة حول هذاالموضوع‌الادبی، و تشکلت رابطة قویه ادبیه سمیت بهذاالاسم:

"International Comparative Literature Association".

و فی سنة ۱۹۶۱م. ظهرت اول مجموعة من‌المقالات‌الخاصه فی‌الأدب‌المقارن سنة ۱۹۷۱م. جمعها کتاب واحد تحت عنوان الأدب‌المقارن، منهجه و آفاقه[2].

الادب‌المقارن و عصرالنهضه‌الأدبیة فی‌البلدان‌العربیه

لقد بدأت‌النهضة‌الأدبیه‌العربیه، تکنولوجیه و علمیة فی‌العصرالحدیث. و من‌المعروف ان رفاعة‌الطهطاوی کان اول مترجم و اول رائد للنهضه‌الأدبیه‌الحدیثه. و قد ذهب الی فرنسا موافقاً للبعثات‌العلمیه، و کان یعد کتابه (تخلیص‌الابریز فی تلخیص باریز) اللبنه‌الاولی فی فکرة‌المقارنه بین‌الشرق والغرب، و کان لروادالنهضه فی‌الشام اثر کبیر فی اهتمام عرب‌القرن‌التاسع‌عشر بالتفاعل‌الادبی مع‌الغرب، و من هؤلاءالرواد فی تلک‌البرهة (علی مبارک و ادیب اسحاق و احمد فارس الشدیاق).

و من یتأمل مواقف هؤلاءالرواد، یلاحظ ان فکرة‌المقارنه کانت راسخه فی اصل موقفهم، فمنهم ادیب اسحاق الذی کان من ابرزالرواد سنة ۱۸۵۵ـ۱۸۸۶م. و کان یستعین بآراءالادباءالعرب‌القدامی و یستند کثیراً الی آراء ابن‌خلدون بهذاالصدد. و حینما تعرض لمحاولة فهم‌الاسلوب و علاقته بالکتاب، تأثر تأثیراً جلیا بآراءالنقادالفرنسیین التی کانت شائقة فی عصره، کآراء بیفون[3] و غوستاف لارومیه[4] وغیرهم ممن کانوا یؤکدون

---

1. Indiana

2. ***Comparative Literatue, Method and Perspective***

3. Buffon

4. Gustave Larroumet

ان‌الاسلوب هوالاساس، و فی‌الاسلوب و جمال‌السبک، الاولیه للصیاغة فی‌المفاهیم. (دیاب، ۱۹۶۸م.: ۲۲ـ۱۸)

و من‌الروادالآخرین احمد فارس‌الشدیاق الذی اتصل مبکراً بالشعرالاوروبی، و کان یؤکد فی شعرالمدیح بأنه لامناسبة بین‌الشعرالعربی والشعرالغربی، لانه قد وضح ذلک بان شعراءالعرب کانوا یقدمون شعرالمدیح لملوکهم کی ینالوا من عطایاهم، بینما کان ملوک‌الفرنجه لایجیزون‌الشعر ولایکافئون‌الشاعر، بل و انهم یأنفون من ان یمدحهم شاعر یرید نوالهم. (نفس‌المصدر، ص ۲۶ـ۲۳)

و من‌الروادالآخرین، سلیمان‌البستانی و احمدشوقی؛ و کل منهما کان یقارن بین‌الأدب‌العربی والغربی فی مواضع متفاوته، کالمقاربه بین‌الملحمةالیونانیه والشعرالعربی‌القصصی. و قد بین‌البستانی عدم وجود ای ملحمة عربیه الاوقائع حرب‌البسوس التی قد توحی بانها باکورةالملحمة: ولکن وحدةالصوت کانت فیها والالیاذه، و هو وجه‌التشابه بینهما بطریقه خاصة، و علی ان‌العرب قد نظموا‌الملاحم علی طریقتهم‌الخاصة. و قد وجه نظره ایضاً الی‌الملاحم‌العربیه‌القصیره، و وضح اوجه‌التلاقی بینها و بین ملاحم‌الافرنج و اوجه‌الخلاف والاختلاف فی وضوح ذهنی رائع. (البستانی، د. ت.: ۴۷۵)

اما فی مجال‌البحث عن احمد شوقی نری بانه قد تأثر بالأدب‌الغربی، و علی‌الخصوص‌الأدب‌الفرنسی، و مما کان یقول فی مجلده‌الاول للشوقیات: «انی طلبت‌العلم فی اوروبا، فوجدت فیها نورالسبیل من اول یوم، و علمت انی مسؤول عن تلک‌الهبة التی یؤتیهاالله، و انی لأودی شکرها حتی اشاطرالناس خیراتها.» (شوقی، ۱۹۸۶م.: ۸۰)

والشاعر یبین و یوضح نواحی‌التجدید فی شعره و فی ایام شبابه بهذه‌التصاویرالأدبیه، للمقارنه فی هذه‌المواضیع:

الف‌ـ تجدیدالمعانی والاسالیب فی‌الشعرالعربی‌المعاصر والشعرالغربی؛

ب‌ـ ادخال‌الشعرالمسرحی فی‌الشعرالعربی و اقتباسه من‌الشعرالغربی؛

ج- نظم‌الشعر للاطفال متأثرا من شعر لافونتین‌الفرنسی؛

د- الاسهام فی تطویرالذوق‌الأدبی عندالجمهور و من ذلک حرص شوقی علی تقدیم ترجمه لقصیدة (البحیره) للشاعرالفرنسی (لامارتین). (شوقی، ۱۹۸۶م.: ۷؛ الخالدی، ۱۹۱۲م.: ۲۲)

التأثیر والتأثر فی‌الأدب‌المقارن

مهما یکن من امر فان‌الاساس‌النظری لدراسات‌التأثیر قد تداعی نتیجه ما وجه الیه من نقد، فالنزعة‌التاریخیه التی بلغت ذروتها فی‌القرن‌التاسع‌عشر قد انحسرت و افل نجم‌الفلسفه‌الوضعیه. و هکذا اتضح ان کتابة تاریخ‌الادب‌القومی مسألة تنطوی علی اشکالیه کبیرة، و ذلک لاسباب عدیده منها ان مفهوم‌الادب‌القومی مفهوم اشکالی و خلافی. فاذن ما هوالأدب‌القومی؟ أهو مجموع ما کتب بلغة واحدة من اعمال ادبیة؟ لکن هناک کیانات قومیه متعددة تکتب بلغة واحدة کالانکلیزیه والفرنسیه والاسبانیه. فاذن هل تشکل آداب کل من ایرلندا ادباً قومیاً واحداً؟ و هل تشکل آداب فرنسا والکانتون‌الناطق بالفرنسیه و مقاطعة کوبیک‌الکندیه و بعض‌الاقطارالافریقیه‌الناطقه بالفرنسیه ادباً قومیاً واحداً؟ و هل یمکن اعتبار آداب اسبانیا و معظم اقطار أمریکاالجنوبیه ادبیاً قومیاً واحداً؟

لقد ظهرت هناک اتجاهات و مناهج نقدیه جدیده، کالنظریه‌المادیه للأدب والبنیویه والنقدیه‌الجدیدة و نظریة‌التلقی والتناص والاتجاهات التی تعارضت مواقعهاالفکریه مع منطلقات‌الأدب‌المقارن‌التقلیدی. (جفرسون و دیفیدروبی، ۱۹۹۲م.: ۳۲-۲۵)

من جهة اخری نری ان‌العالم‌العربی لم‌یتأثر کثیراً بتلک‌التطورات التی حدثت فی‌الغرب، بل و نری ان دراسات‌التأثیر والتأثرالعربیه شهدت فی هذاالزمن عصرهاالذهبی، حیث یمکن‌القول ان معظم ما انتجه‌المقارنون‌العرب من دراسات مقارنه تطبیقیه تدخل فی باب دراسات‌التأثیر. (عبود، ۱۹۹۲م.: ۴۵۵)

فلذلک نقول: لماذا لم‌یتماش‌الأدب‌المقارن فی‌العالم‌العربی مع‌التوجه‌العلمی

الی‌الاقلاع عن دراسات‌التأثیر؟ و لماذا ازدهرت دراسات‌التأثیرالعربیه فی‌الوقت‌الذی تکادفیه تختفی فی‌العالم باسره حتی فی فرنسا، بلدالمنشأ.

فهناک اسباب عدیده لهذه‌الظاهرة منها:

اولاً: ان هذاالنوع من‌الدراسات هو اسهل‌منهجیاً و تطبیقاً، فهو یتمثل فی جمع‌المادة‌التاریخیه التی تدل علی وجود علاقة‌التأثیر والتأثر بین ادب قومی ما و ادب قومی اخر او آداب قومیه اخری. و من جهة أخری فان دراسات‌التأثر یمکن ان توظف بسهولة فی‌النقاشات والمعارک‌الادبیه والنقدیه‌الدائرة فی‌الوطن‌العربی حول قضایا ادبیه، کقضیة‌الاصالة والتقلید والمثاقفه فی‌الادب‌العربی‌الحدیث.

ثانیاً: ان استبدال دراسات‌التأثیر من دراسات‌المقارنه هو یعتمد نظریا علی‌المناهج‌النقدیه‌الحدیثه والمعاصره، کنظریه‌الأدب‌الجدلیه. فهو یتطلب استیعاب تلک‌المناهج استیعابا وافیا من جهة و تطویرالقدرة علی استخدامها تطبیقیاً فی‌الدراسات‌الأدبیه‌المقارنه من جهة اخری. (عبود، ۱۹۹۵الف: ۲۲۰)

فهناک اذن تأخر و تقصیر فی استیعاب‌المناهج والاتجاهات‌الجدیدة فی‌الأدب‌المقارن‌العالمی، و ذلک فی سیاق‌التقصیر والتأخرالحاصلین فی استیعاب‌الفکرالنقدی‌العالمی بصورة عامة، و قصور فی استخدام تلک‌المناهبح بصورة تطبیقیه فی‌الدراسات‌المقارنه‌العربیه. و علی آیه حال فان دراسات‌التأثیرالعربیه تعیش حالیاً فترة ازدهار. و قد ظهر علی هذاالصعید اتجاهان هما:

۱. اتجاه یرکز علی تأثیرالأدب‌العربی والثقافه‌العربیه علی‌الآداب‌الشرقیه و تأثره بها، و فی مقدمته ادبان هما: الأدب‌الفارسی والأدب‌الترکی: اماالاتجاه‌الثانی فهو یرکز علی تأثرالادب‌العربی بالآداب‌الشرقیه والاسلامیه، ای علاقة‌الأدب‌العربی بالآداب‌الشرقیه والاسلامیة. فالأدب‌الفارسی قد حظی بالقسط‌الاعظم من اهتمام‌الباحثین و جهودهم، فهو قد بحث حول تأثرالأدب‌العربی‌القدیم بالثقافه‌الفارسیه، و تأثرالأدب‌الفارسی بالادب‌العربی والثقافه‌العربیه عموماً. و من ابرزالمواضیع التی بحثت حولهاالدراسات‌المقارنه، موضوع «لیلی و مجنون» فی‌الادبین‌الفارسی والعربی. (هلال،

۱۹۸۰م.: ۵۲-۴۰)

اماالمحورالآخر لدراسات‌التأثیر والتأثرالعربیه، هو علاقةالادب‌العربی بالآداب‌الاوروبیه ای تأثره بها و تأثیره فیها. و قد برزت علی هذاالصعید مواضع استاثرت باهتمام‌الباحثین و جهودهم. فعلی صعید تأثرالآداب‌الاوروبیه بالأدب‌العربی و بالثقافه‌الاسلامیه قد حظی موضوع‌المصادرالعربیه والاسلامیه فی‌الکومیدیاالالهیه لدانتی[1] باهتمام کبیر من جانب‌المقارنین‌العرب. (فضل، ۱۹۸۵م.: ۹۸)

و کانت رسالةالغفران لابی‌العلاءالمعری و قصةالاسراء والمعراج اهم‌المصادر التی سعی‌المقارنون‌العرب لاثبات تأثیر دانتی بها. فقد صورت دراسات عدیده حول هذاالموضوع مما جعل منه مرکز استقطاب لبحوث‌التأثیرالعربیه. (اسعدغالی، ۱۹۸۵م.: ۳۵-۲۵)

فلاشک ان لدراسات‌التأثیرالعربیة دوافع معرفیه و علمیه، ولکن من‌الواضح ان تکون لها دوافع ایدیولوجیة، تتلخص فی‌السعی لدحض فکرةالتفوق‌الأدبی والثقافی‌الاوروبی، و ذلک باظهار فضل‌العرب علی‌الاوروبین، و ان شمس‌الأدب‌العربی تسطع علی‌الغرب، لیس علمیاً و فلسفیاً و حسب، بل ادبیاً و تاریخیاً. (هونکه، ۱۹۸۶م.: ۷۵)

هذا عن‌الدراسات‌المقارنه‌المتعلقه بتأثیرالأدب‌العربی فی‌الآداب‌الاوروبیه: فماذا عن‌الدراسات التی تتخذ من تأثرالآداب‌العربی بالآداب‌الاوروبیه؟ ان هذه‌الدراسات کثیره، و ذلک علی خلفیه ان تاریخ‌الأدب‌العربی‌الحدیث هو فی جزء کبیر منه تاریخ تأثره‌الابداعی بالآداب‌الاوروبیه. فقد تمخضت‌المثاقفه التی نشأت بین‌العرب و اوروبا، و لم‌تزل مستمره منذ اواسط‌القرن‌التاسع‌عشر عن تحولات جذریه فی‌الأدب‌العربی، سواء من ناحیةالاجناس‌الادبیة اوالاتجاهات‌الفنیه والفکریه. فعلی صعیدالاجناس‌الأدبیة ظهرت فی‌الأدب‌العربی اجناس لم‌تکن موجوده فیه قبل ذلک، کالمسرحیة والروایه والقصةالقصیره والاقصوصه والقصةالشعریه. و علی‌الصعیدالفنی انتشرت فی‌الأدب‌العربی تیارات ادبیه اوروبیه‌الاصل کالرومانسیه والبرناسیه والواقعیه والاشتراکیه والسریالیه

1. Dante

والرمـزیه. و قـد صـدرت بـالفعل ابـحاث و دراسـات عـدیده مـقارنه حـول دورالتأثـر بـالروایـه‌الاوروبـیه فـی نشـوءالروایـه‌العـربیه و تـطورها فـی نشـوءالمسـرحـیه و فـی تطورالشعرالحدیث. (ایت‌حمودی، ۱۹۸۶م.: ۸۸)

النقدالأدبی و اتجاهاته فی‌الأدب‌المقارن

هـل اقـتصر تـفاعل‌الأدب‌المـقارن مـع‌الاتـجاهات‌النـقدیه؟ الم‌یـتفاعل مـع‌المـناهج والاتجاهات‌الحدیثه والمعاصرةالاخری؟ کالنظریه‌السـیمیائیه[1] والبـنیویه والتـفکیکیة و نظریةالتناص؟ فلاشک ان ساحةالأدب‌المقارن کانت مفتوحة علی‌الاتجاهات‌النقدیه ـ و قـد تـفاعلت مـعها بـصورة مسـتمرة مـما ادی ذلک الی نشـوء مـدارس جـدیده فی‌الأدب‌المقارن. فنظریةالتناص[2] علی سبیل‌المثال یمکن ان تکـون مـفیده بـالنسبه للدراسات‌المقارنه، و ذلک لان علاقات‌التناص لاتنشأ بین اعمال ادبیه تنتمی الی ادب قومی معین، بل تتخطی الی آداب و ثقافات متعدده. و لذا کان من‌الممکن اجراء دراسات مقارنه انطلاقاً من نظریه‌التناص حول هذه‌الظاهره التی تنتمی الی آداب مختلفه، و ان شکلت تلک‌الدراسات میداناً جدیداً من میادین‌الأدب‌المقارن والشیئی نفسه، یمکن ان یقال حوله عن علاقةالأدب‌المقارن بالسیمیائیه او لیس هناک من‌الناحیه‌النظریه مایمنع من‌القیام بدراسات ادبیه مقارنه، انطلاقاً من هذاالمنهج. و هذا ینطبق علی‌الاتـجاهات والمـنـاهج‌النـقدیه‌المـعاصرةالاخـری، فـالأدب‌المـقارن مـطالب بـاستیعاب‌المـناهج والاتجاهات‌النقدیه‌الجدیدة و معرفة انعکاساتها علی حـقلهاالمـعرفی. امـاالخـطر الذی یمکن ان یحدق بالأدب‌المقارن هو انغلاق‌الابواب علی نفسه والتـجاهل بـما یسـتجد فی‌الساحةالنقدیه من تطورات، و عندئذ یحرم هذاالادب نفسه من فرض‌التجدد والتطور، و مـن ثـم یـبتلی بـحالةالجـمود. و عـلینا ان نـقول بـان‌العـصرالذی یـعیش فـیه هـو عصرالتحولات‌السریعة، لیس فی‌الصناعة والعلوم‌المتنوعه بل فی‌العلوم‌الانسانیه ایـضاً و مـــنها عـــلم‌الأدب والأدب‌المـقارن. فـلذلک لایـجوز ان یـقتصر هـذاالتـصور

1. semiotik
2. inter-textualitaet

عـــلى الجـــوانب النـــظريه، بـــل مـــن الضـــرورى ان يشـــتمل الجـــوانب التـــطبيقيه. ان العلاقات الأدبيه الدوليه لم تكن فى يوم من الايام اكثف مما هى اليوم، و لذا فان الحاجه الى الأدب المقارن لم تكن فى يوم من الايام اكبر، و آفاق هذا العلم لم تكن ارحب مما هى عليه اليوم: الا ان الاستفاده من الفـرص المـهياة للأدب المـقارن تـتوقف عـلى المـقارنين انفسهم فبيدهم ان يستفيدوا منها بشكل مقبول و ان يضمنوا للأدب المقارن مكاناً مركزياً فى الدراسات الادبيه، و بيدهم ايضاً ان يفوتوا الفرص المتاحة، فيكون مصير الأدب المقارن مـــزيداً مـــن الجـــمود والركـــود، والعـــلم الذى لا يـــواكب عـــصره ولا يـــقدم اجـــابات عـــن اسئلته المستجده يكون مصيره الزوال.

النتيجه

لدراسة الأدب المقارن اهميةً كبرى فـى المـجال القـومى والعـالمى، فـفى المـجال القـومى يؤدى الاطلاع على آداب اجنبيه، و مقارنتها بالأدب القومى الى التخفيف من حدة التعصب للغة والأدب القومى. و كثيراً مما يؤدى التعصب والغرور الى عزلة اللغة والادب القومى مـن تـــيارات الفكـــر والثـــقافه التـــى تســـاعد عـــلى اثـــراء ادب مـــن الآداب. فـمثلاً نـرى ان الادب الانكليزى كـان بـحكم الكـبرياء قـد عـزل نـفسه عـن الآداب العـالميه، تـوهماً من الادباء الانكليز ان ما عندهم افضل من الاخرين، و ظلوا كذلك حـتى غـزتهم اخـيراً التيارات الامريكيه فى الحضارة والأدب. فاثرت فى لغتهم بل فى نظام حياتهم الاجتماعيه، و لم يستطع الانكليز ان يقاوموا، و اهتزت لغتهم هزة عنيفه امام المفردات واللغات الحديثه التى وردت من الأدب الامريكى. و يرى غيفورد فى هذه المواجهه بين الأدبين فائدةً و خيراً. فهى اولا تزود القارىء الانكليزى بافكار و اتجاهات جديده، و هو يعيش فى عزلته السابقه فى وهم الاكتفاء الذاتى، و من فوائده الاخرى انها تعين فى الدراس دربه خاصة على تمييز ما هو قوى اصيل و ما هو اجنبى دخيل من تيارات الفكر والثقافه.

و يستطيع الباحث اذا وصل الى هذه الدرجه ان يلتقط اصداء اديب من الأدباء فى ادب اديب اخر، و بقدرته ان يميز التيارات و لو كانت خفيه، والظلال مهما تكن باهته تتسلل من

اديب سابق الى اديب لاحق (الأدب المقارن[1]، ۱۹۶۹م.: ۱۰۵-۹۸). و فی قدرة هذاالخبيرالمدرب ان يكشف الاتجاه السائد فی ادب الأديب والنبرة البارزه فيه والمزاج الذی يتحكم فی توجيهه، و يوصل الاخير الى مثل هذه النتائج بعد مقارنات طويله و دراسات واسعه والاطلاع على كثير من النماذج الأدبية فی مختلف الآداب، و هو يمعن النظر فی الالفاظ التی يستخدمها الأديب ما يكثر و ما يندر فی الجمله و طريقة تركيبها فی الحذف والتكرار والايجاز والاطالة، و ايراد الالفاظ بعينها تحمل بعض الالفاظ معانی خاصة و تستخدم فی احدی البيئات و لاتستعمل فی غيرها لاجل التحمس فی بعض القضايا والنزعات والمفاهيم و اهمال ماعداها (ندا، ۱۹۹۲م.: ۲۷).

المراجع

البستانی. د. ت. دائرة المعارف. ج ۱۰. طهران.

ـــــــ . ۱۹۹۲م. المنجد. بيروت: دارالفكر.

تيبغم، بول فان. ۱۹۳۱م. الادب المقارن. ترجمة سامی مصباح الحسامی. بيروت.

جفرسون و ديفيدروبی. ۱۹۹۲م. النظرية الادبية الحديثه. ترجمه سمير مسعود. دمشق: دار نشر وزارة الثقافة.

الخطيب، حسام. ۱۹۹۹م. آفاق الأدب المقارن، عربياً و عالمياً. دمشق: دارالفكر.

ـــــــــــ . ۱۹۷۵م. محاضرات فی تطور الأدب الاوروبی. جامعة دمشق.

الخالدی، روحی. ۱۹۱۲م. تاريخ علم الأدب عندالافرنج والعرب و فيكتور هوكو. القاهرة: دارالهلال.

جمال الدين، محمد السعيد. ۱۹۸۹م. الادب المقارن، دراسات تطبيقيه فی الادبين العربی والفارسی. القاهرة: دارثابت.

درويش، احمد. ۱۹۹۲م. الادب المقارن، النظريه والتطبيق. القاهرة: دارالثقافة العربيه.

دياب، عبدالحی. ۱۹۶۸م. التراث النقدی قبل مدرسة الجيل الجديد. القاهرة: وزارة الثقافه.

اسعدغالی، الياس. ۱۹۸۵م. رسالة الغفران والكوميديا الالهيه فی لمحة تاريخيه. دمشق: منشورات

1. *Comparative Literature*

اتحادالکتاب العرب.

السید العراقی. ۱۹۸۵م. الأدب المقارن منهجاً و تطبیقیاً. بیروت: دارالفکرالعربی.

شوقی، احمد. ۱۹۸۶ م. الشوقیات. ج ۱. دمشق: دارالکتاب العربی.

صالح، فخری. ۱۹۹۴م. الموثرات الاجنبیه فی الشعر العربی المعاصر. بیروت.

عبود، عبده. ۱۹۹۲م. الأدب المقارن، مدخل نظری. حمص: منشورات جامعة البعث.

ـــــــــــــ . ۱۹۹۵الف. دراسات فی الترجمه الادبیة والتبادل الثقافی. دمشق: دار نشر اتحادالکتاب العرب.

ـــــــــــــ . ۱۹۹۵ب. هجرة النصوص. دمشق: منشورات اتحادالکتاب العرب.

فضل، صلاح. ۱۹۸۵م. تأثیر الثقافة الاسلامیة فی الکومیدیا الالهیه لدانتی. بیروت: دارالآفاق الجدیده.

کفافی، عبدالسلام. ۱۹۹۴م. فی الأدب المقارن، دراسات فی نظریه الأدب. بیروت.

ندا، طه. ۱۹۹۲م. الأدب المقارن. بیروت: دارالنهضه.

ولک، رینیه. ۱۹۸۷م. الأدب المقارن، اسمه و طبیعته. ترجمة محمود محمدعصفور. الکویت.

هلال، محمّدغنیمی. ۱۹۸۰م. لیلی و مجنون فی الادبین العربی والفارسی. بیروت: دارالعودة.

ـــــــــــــ . ۱۹۸۷م. الأدب المقارن. بیروت: دارالعوده.

هونکه، زیغرفید. ۱۹۸۶م. شمس العرب تسطع علی الغرب. ترجمه فاروق بیضون و کمال الدسوقی. ط ۸. بیروت: دارالآفاق.

Gifford, Henry. 1969. *Comparative Literature.* London: Routledge and Kegan Paul.

Prawer, S. S. 1973. *Comparative Literary, Studies and Interoduction.* London.

Comparative Criticism, a yearbook, vol. 1, Cambridge University, 1968.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی